

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يقدم
من سلسلة "قصة رواها الرسول"

الثلاثة الذين تكلموا في المهد ٢

لفضيلة الشيخ: جمال المراكبي

رابط المادة: <http://www.way2allah.com/khotab-item-29243.htm>



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد..

تكملة قصة جريج العابد

فما زلنا مع قصة الثلاثة الذين تكلموا في المهد، وقد رأينا في لقائنا السابق كيف أن جريج كان عبداً في صومعته لا يلتفت لأحد، وأن أمه جاءت فنادت عليه تريد أن تراه في ثلاث مرات، وهو يصلي، فيقول: يا ربي أمي أو صلاتي، فقدم صلاته على أمه.

الصلاة هنا صلاة نافله.. إذا دعيتك أمك فاقطع صلاة النافلة، وتوجه إلى أمك وأجبها، حتى قال الفقهاء: لو منعك من صلاة النافلة فاستمع لها، لكن لو منعك من الفريضة فيجب أن تؤدي الفريضة.

جاءوا فهدموا صومعته وكسروها، وأنزلوه واقتادوه إلى المحاكمة، صار بينهم يضربونه ويسبونه ويشتمونه، والناس ينظرون إليه هذا العابد الذي ارتكب الفاحشة، فلما مرَّ على بيت الزواني، بيت الدعارة، ووجد المومسات ينظرن إليه، فنظر إليهن وتبسم، فجعل الناس يقولون: انظروا! انظروا! لم يتبسم ولم يضحك إلا حينما رأى الزواني، عندما رأى المومسات.

ثم اقتادوه إلى الملك، إلى القاضي، إلى الحاكم.. وأقاموا عليه الحجة والدعوة والبينة، فقال: دعوني أصلي ركعتين، فجاؤوه بماء فتوضأ، ثم صلى لله ركعتين، رجل يحب الصلاة، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

"وجعلت قرّة عيني في الصلاة" صححه الألباني

فتوضأ وصلى ركعتين، ثم قال: أين الغلام؟ أين الولد الذين ترعمون أنه ولدي؟ فجاءوا له بالغلام، فطعن بأصبعه في بطن الغلام، وقال: يا غلام من أبوك؟ يا غلام من أبوك؟ فأنطق الله الغلام، فقال: أبي فلان الراعي.. فكبر القوم وأبرأ الله جريجاً.

العالم خير من العابد

وتحققت دعوة أمه: "اللهم لا تمته حتى تربيه وجوه المومسات" صحيح البخاري

قالوا له: لماذا ضحكت حينما مررت ببيت المومسات؟! قال: تذكرت دعوة أمي، تذكرت أن أمي قد دعت عليّ بهذه الدعوة، وأن الله عاقبني بهذه العقوبة، ولكن الله لطف بي؛ لأنني ما أردت إلا الخير. وهنا نعلم أن العالم خير من العابد.. العالم الذي يعلم مناهج الأحكام، يعرف الواجب والمندوب، يعني المستحب والمباح، والمكروه،

والحرام، العالم أفضل من العابد الذي يعبد بغير علم؛ لأن الذي يعبد بغير علم عنده إخلاص، لكن معندوش حسن متابعة.

اللفظ ينزل مع العقوبة

قالوا يا جريج نبي صومعتك من الذهب، أنت رجل مبارك، أكرمك الله بهذه الكرامة.. ولاحظوا جريج لم يكن نبياً، وإنما هو من أتباع المسيح، هو عبد صالح، ليس نبياً ولا رسولاً، لكن الله أكرمه بهذه الكرامة..

حتى لما عاقبه الله لطف به الله، ربما ينزل بك ضرر كعقوبة.. **"وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ"** الشورى: ٣٠، لكن الله يُحِفُّ ذلك بلطفه بكرمه بفضله بمنته بعافيته.

يا جريج نبي لك صومعتك من الذهب؟ قال: لا، ابنوها من الطين كما كانت.

قصة الأم وطفلها الذي تكلم في المهد

أما القصة الثالثة؛ فهي قصة تلك الأم التي كانت تحمل صبيّاً رضيحاً، والأم كسائر أمهاتنا، تريد لولدها الخير، تريد أن يكون ولدها أفضل الناس وخير الناس.. كل أم ترجو أن يكون ولدها خير الناس وأفضل الناس.

فكانت تحمل ولدها وترضعه - الولد جوعان - فألقمته ثديها وهي تحمله فمرّ بها ركب وراكب ذو شارة.. انتو عارفين مواكب الملوك، مواكب رؤساء الجمهورية، مواكب الفنانين والفنانات، المواكب اللي بتسبقها الدراجات البخارية، المواكب التي فيها الأبهة، التي فيها السيارات الفارهة..

المرأة رأت موكباً عظيماً، ورأت رجلاً في الموكب يشير الناس إلى مكانته، وإلى منزلته، وإلى فضله، وإلى رفعة درجته، فتمنت قالت: اللهم اجعل ولدي مثله، يا رب أما ابني يكبر يكون في الأبهة دي، يكون في هذه المنزلة وهذه المكانة.

لا تشغلنا الظواهر

فترك الصغير الثدي، ونظر إلى هذا الراكب، ثم قال: اللهم لا تجعلني مثله.. يبقى لا تشغلنا الظواهر.. رب اشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره، ورب صاحب موكب وصاحب شارة وصاحب أبهة ولا يزن عند الله جناح بعوضة.

انظروا إلى الذين نظروا إلى قارون في موكبه في أبيته، قالوا: **"يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"** القصص: ٧٩، ولكن الذين أوتوا العلم قالوا: **"وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ"** القصص: ٨٠

المؤمن يرى بمنظور آخر، لا تغره الدنيا.. **"فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ"** لقمان: ٣٣ الولد قال: اللهم لا تجعلني مثله.

ثم مروا فإذا بامرأة سوداء أمة، يضربونها ويجرونها، ويقولون: يا سارقة يا زانية، زنيته وسرقت، وهي تقول: لم أفعل وتبكي.. فقالت المرأة في شفقة على وليدها: اللهم لا تجعل ابني مثلها، اللهم لا تجعل ابني مثلها.

فترك الغلام الشدي ونظر ثم قال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت أمه: عجباً لك! مرّ بنا ركب ذو شارة وراكب عظيم، فدعوت الله أن يجعلك مثله، فقلت اللهم لا تجعلني مثله!!

ومرت بنا هذه الأمة السوداء، يضربونها ويجرونها ويتهمونها بأفطع التهم، فقلتُ اللهم لا تجعل ولدي مثلها، فقلتُ أنت اللهم اجعلني مثلها!! ما هذا!؟!

نطق الغلام درءاً للفتنة

فقال الغلام الذي أنطقه الله آية وكرامة، وتثبيتاً لقلب الأم، ودرءاً للفتنة عنها: أما هذا الراكب ذو الشارة فجباراً من الجبابرة، وأنا لا أريد أن أكون جباراً، لا أريد أن أكون ظالماً، لا أريد أن أكون فاجراً.. وبعض الناس ربما يحصل الدنيا بالظلم، وبعض الناس ربما يتسلط في الدنيا بالقهر، وبعض الناس ربما يتسلط على رقاب العباد بغير حق، وبعض الناس ينظرون إليه وإلى ما هو فيه فيحسدونه! والحقيقة أنه بائس، أنه مسكين؛ لأن هذه الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة.. وهذه الدرجة وهذه المنزلة وهذه المكانة هو لا يستشعرها.

والله والله أنا لا أتهم أحداً.. إن كثيراً من الملوك، وإن كثيراً من رؤساء الجمهوريات، ليتمنى فيما بينه وبين نفسه لو كان واحداً من آحاد الناس، يتمنى هذا لأنه يحمل أعباءً ثقيلة، هذا إذا كان يعرف الأعباء التي يحملها، هذا إذا كان مهموماً بشعبه، مهموماً بالمسئولية التي ألقاها الله على كاهله وحمله إياها.. والذي يعلم هذا يوفقه الله، ويسر الله له، لكن بعض الناس لا يأبه لهذا، ولا يلتفت لهذا، يعيش الظلم ويعيش البغي، هؤلاء مآلهم إلى ما يستحقون من مقت الله وحساب الله الشديد وعذابه الأليم، نسأل الله العافية.

وكثيراً ما نرى مخلوقاً ضعيفاً فنأسى له ونرق له، يصعب علينا، تدمع العين، لكننا لا نرجو لأنفسنا ولا لمن نحب أن يكون في مثل مكانه ومنزلته.. وربما كان هذا المخلوق في لحظة الضعف هذه من أفضل خلق الله..

من مواقف الصبر والثبات النبوية

ألم تروا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذهب إلى الطائف يدعو أهلها، فطردوه وأغروا به السفهاء والصبيان فرموه بالحجارة حتى أدموا قدميه، استشعر لحظة الضعف، ولما أراد أن يدخل إلى مكة لم يستطع أن يدخل إلا في جوار رجل مشرك، ومع هذا فهو محمد خير خلق الله، تعرض لهذا الموقف، لكنه تعرض له فثبت، تعرض له فصبر، فكان من المواقف التي تؤكد على منزلته، وتؤكد على مكانته.

منزلة أبي جهل في مكة أو منزلة المُطعم بن عديّ في مكة منزلة عز وشرف، ومنزلة النبيّ صلى الله عليه وسلم في هذا التوقيت منزلة ضعف، لكن أيهما أعظم عند الله؟! هذا كافر مشرك، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خير خلق الله..

يبقى لا نغتر بهذه الظواهر.. "فَلَا تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ" لقمان: ٣٣

"إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ" فاطر: ٦

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا من حزب الرحمن المفلحين، وأن يعصمنا من الشيطان، وأن يقيننا شر الشيطان وحزبه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.. وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه..
شكر الله لكم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفرغ الدروس تفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>